المشرق

آثار ثيبة والصعيد

المكتشفة في هذه الاعوام الاخيرة

نظر للاب الكسيس مالون مدرّس اللغة القبطيّة في المكتب الشرقيّ

انَّ المقام الاوّل في العاديّات التي اكتُشفت حديثًا في مصر هو لثيبة بلا مراء فانَّ آثارها اوفر عددًا واعظم شأنًا ممَّا سواها. ولا عجب اذ انَّ هذه المدينة كانت عاصمة الفراعنة مدَّة قرون متوالية فخلَّفوا فيها من الآثار ما لا يُحصى عدًّا فهناك من الكنوز الفنيَّة والدفائن الثمينة ما يهتمّ علماء زماننا باستخراجه. ولا يمضي علينا سنة دون ان تفيدنا المجلّات العلميَّة عن المآثر التي تبرز في جهاتها بهمّة علماء العاديّات والمتولّين على الحفريات. فاجابةً الى دعوة مدير المشرق سطَّرنا هذه المقالة فضمَّناها مجمل الاكتشافات التي توفَّق اليها اهل البحث منذ اربع سنوات في ثيبة وبلاد الصعيد. لكنَّنا لا نرى بدًّا من توطئة لهذا النظر الاجمالي فنصف للقرَّاء الامكنة التي وُجدت فيها هذه البقايا المنبئة بمفاخر قدماء المصريين. ومن ثمَّ نعرض لهم رسمًا يعرّفهم بالتصور والكرنك وموقع الامكنة التي تكرَّرت فيها هذه الاكتشافات العجيبة

١ تعريف ثيبة وجيرتها

كانت ثيبة في غابر الاعصار مدينةً كبيرة تمتدُّ على ضفَّتي النيل. ويستدلُّ على موقعها بما يُرى هناك حتى يومنا هذا من الابنية الفخيمة الناطقة بعظمتها السابقة. وهذه

المباني عبارة عن هياكل عظيمة ومدافن واسعة . امَّا دور المدينة وبيوت اعيانها وقصور ملوكها فقد اخفى عليها الدهر ولم يبقِ منها اثرًا . وموقع هذه المدينة يأخذ بمجامع القلب فانها قسمٌ خصب كثير المزارع تكتنفهُ سلسلة جبال شاهقة تنطح رؤوسها اعناق السماء وتنتصب على هيئات شتَّى . فان نظرت الى الشرق رأيت السلسلة المعروفة بالعربيَّة تحيد وتبتعد كانها ترحب لهذه الحاضرة وتفسح لها ولملَّاتها . وان وجَّهت النظر الى الغرب رأيت السلسلة الموازية المعروفة بالليبيَّة على عكس ذلك تقترب حتى يكاد منعطفها يتَّصل بالنيل لتضحي مناورهُ وكهوفهُ مدافن لاهلها . امَّا السهل فتراه ناصع الخضرة تميس في وسطهِ اشجار النخل التي تتلاعب الرياح بسعفها . واذا ارسلت الغزالة عليها صباحًا اشعَّتها الذهبيَّة او كستها مساء بانوارها الارجوانيَّة رأيت لهذا الوادي مناظر فتَّانة وعرفت حُسن اختيار القدماء لهذا المقام ليجعلوا فيهِ احدى حواضر الدنيا . ومياه النيل وقت الفيضان تغمر هذا السهل وتمتدّ على اخربة الهياكل القديمة المبنيَّة في صحنهِ . امَّا المدافن فهي منقورة في صخور الجبل الغربي فترى من اسفل فوَّهاتها السوداء على سياق متَّصل يركب بعضها البعض كانها خلايا النحل

وفوق اخربة المدينة القديمة ترى بيوتًا او بالحري اكواخًا متفرِّقة يسكنها اهل مصر الحدثون . وهذه المساكن على قسمين خصوصًا وهما الأقصر على الضفَّة الشرقيَّة وقرنة على الضفَّة الغربيَّة . والأقصر قرية كبيرة عدد نفوسها نحو ١١,٠٠٠ منهم اقباط ٢٦٠٠ بنيف والأقصر لاحقة بمديريَّة قنه . اما اسمها فمشتقّ من اسم الهيكل الكبير الذي كان الاهلون يسكنون ساحتهُ المتَّسعة حتى عهدنا هذا . واليهِ يتقاطر الزوَّار في فصل الشتاء من كل انحاء المعمور فانشأت شركاتٌ عديدة انزالًا وفنادق رحبة لايواء الغرباء . وقد استوطن الأقصر قومٌ من الاجانب لا سيما الطليانيين واليونان ليقوموا بحاجات الزوَّار او يرتزقوا بالتجارة . ومنذ أُنجزت اعمال السكَّة الحديديَّة اخذت الأقصر تنمو بسرعة يومًا بعد يوم حتى صارت تماثل في بعض شوارعها شوارع القاهرة . وفي الجهة الشماليَّة الشرقيَّة ابنية جديدة شيَّدها البُناة على طول الطريق الحديثة التي انتهت منها البلديَّة . وهي بيوت للاهلين ولكثيرين من الغرباء الذي يتَّخذون هذه المنازل ليقضوا فيها كل سنة فصل الشتاء . وان سرت في الوجهة عينها نصف الساعة بلغ بك السير الى هياكل الكرنك التي هي اجل هياكل الصعيد واشهرها . وحولها مآوي حقيرة

رسم تبينة
ولوالجبا
متر
قناة السويس
سيناء

يسكنها الفلّاحون وكان هؤلاء المساكين اتخذوا سكناهم اولًا في داخل الهيكل الّا انّ اصحاب ادارة العاديّات المصريّة اخرجوهم منها

واعلم اننا لو حاولنا وصف كل آثار الكرنك القديمة لَمَا قام بذلك كتابٌ ضخم . وانما نقول هنا بوجه الاجمال انها تُقسم الى ثلاثة احياء ترى اسوارها الثلاثة حتى الان . فالحيّ الاوسط اعظمها واوسعها وفيه هيكل آمون الكبير وعشرة هياكل أخرى او معابد صير بعضها على آفات الدهر والبعض الاخر استولى عليه الخراب . والحيّ الجنوبي يحتوي هيكل الالهة «موت» وهيكلين اخرين خربين . اما الحيّ الشمالي وهو اصغر الثلاثة ففي ضمنه هيكل إله الحرب مُنط وثلاثة معابد اخرى تلفت ولم يبقَ منها ما يدلُّ على رسمها الاصلي

وفي عبر النهر على الضفّة الغربيّة بميلة عن الكرنك شمالًا قرية قرنه وهي لاحقة بالأقصر من حيث ادارتها . والفلّاحون هناك يسكنون في وسط المدافن متفرّقين على اعطاف الجبل السفلي . وآثار قرنه على صنفين منها هياكل ومنها مدافن تُرى في انحاء شتّى ولكل منها اسم مخصوص . وكان رهبان القبط اتخذوا هذه الاماكن لعباداتهم وفيها عددهم فيها ولذلك تُدعى حتى اليوم بالاديرة لشارة الى هؤلاء النسّاك

وليست اثار السهل اقلّ شأنًا من الآثر السابقة فترى اولًا من ناحية الشمال على مقربة من قرنه هيكل الفرعون ساتي الاوّل من ملوك السلالة التاسعة عشرة . وعلى مسافةٍ منهُ شمالًا بميلةٍ الى الغرب تعلو بعض الرُّبى المتّصلة بالجبل الغربي . وهناك مدافن تُعرف بذراع ابي النكّه وهي من اقدم مدافن ثيبة وفيها وجد الاثريّ الشهير ماريت باشا كنوزًا ثمينة . وكان فوق الاكمة التي فيها تُعرت هذه المدافن دير يدعى دير البخيت وكلُّهُ خراب

وان سرت من ثمَّ في طريق وعر كثير الحجارة تبطّنت واديًا ينتهي بك الى مدافن الغراعنة . والوادي في اولهِ متّسع ثمَّ يضيق شيئًا فشيئًا بين صخور جرداء تعكس عليك لشعّة الشمس . والسائر يشعر بانَّ الحزن وسكوت الموت قد خيّما على تلك الجهات فلا يرى اثرًا لخضرة ولا يشاهد عينًا صافية ولا يسمع صوت خرير الماء او تغريد الطيور وغاية ما يعاينهُ بعض النبات الضئيل في شقوق الصخور وربّما حلّقت فوق رأسهِ بعض النسور او البزيان او تشاءم بصوت البوم او نعيق الغربان

وبعد ثلاثة ارباع الساعة يؤدي بك السير الى دائرة من الصخور فيها نُقرت مدافن الفراعنة وذلك ما يدعونهُ ببيان الملوك . وفي هذه المدافن وُضعت جُثث ملوك الدولة المعروفة بالحديثة ولم يُدفن في هذه الكهوف غير الفراعنة لا يُستثنى من هـذا الحكم احد من الامراء والسُّراة حتى الملكات انفسهنَّ لم يشاطرن الفراعنة بهذا الشرف بان يضمَّهنَّ وازواجهنَّ قبر واحد . وكما انَّ الفرعون كان مدَّة حياتهِ يعيش في اقصى ردهات قصره بعيدًا عن نظر البشر كذلك كان الموت يعزلهُ عن شعبهِ فيُفرَز لهُ مقام خاصّ بهِ . وقد جرى هؤلاء الملوك مجرى اسلافهم من اصحاب السلالات السابقة الذين بنوا تلك الجبال الحجريَّة المعروفة بالاهرام لينفردوا فيها بعد موتهم .

وفي بيبان الملوك نحو اربعين مدفنًا ملكيًا والبعض منها ليست بحكمة العمل كانَّ العملة باشروا فقط في صنعها فلم ينجزوها والبعض الآخر آية في النقش والزخرفة وهي عبارة عن دهاليز مرتفعة واسعة نُقرت في قلب الجبل الى عمق مئتي متر . وهذه الاسراب تمتدُّ تارة على خطّ متساوٍ مستقيم وتارةً تنعطف انعطافًا لينًا او تنحدر على شكل درجات السلَّم ثم تعود الى الخطّ الافقيّ مجتازةً في غرفٍ رحبة ثمَّ تتحدَّر مرَّتين او ثلاث مرَّات حتى تنتهي اخيرًا الى قعر المدفن وحجرتهِ القصوى فهناك الناووس الملكي من الحجر المحبَّب المانع يضطجع فيهِ الفرعون بعد تحنيطهِ على اعجب طريقة واحكمها . وجدران المدافن الداخليَّة وسقوفها كلها مزدانة بالكتابات الهيروغليفيَّة والتصاوير الرمزيَّة المتضمنة ملخَّص دين قدماء المصريين

على انَّ هذه النقوش والصور البديعة كانت بقيت في ظلمتها لا يستطيع الزائر رؤيتها لولا انَّ ادارة العاديَّات قد انارت بالنور الكهربائي هذه المغاور الصناعيَّة فاظهرت محاسنها المكنونة منـذ ثلاثة الاف سنة وكان العمَّة قد اشتغلوها بالعناء والمشقَّة على ضوء المشاعل المدخنـة . وهذه المدافن خلو من مستودعاتها فانَّ جثث الفراعنـة ونواويسهم وادوات دفنهم وكنوزهم المودعة مع اجسامهم كل ذلك قد نُقل الى متحف العاديَّات في القـاهرة ولم يُبقوا منها في المدافن الَّا موميا واحدة كمثال للزائر يوقفهُ على هيئة المدفن القديم ومضمونهِ

فلنرجعنَّ بعد هذه الزيارة الى السهل على غير طريق الوادي وهناك مسلك ينفذ في وسط الجبل ويقودنا توًّا الى مدفن الامراء والاشراف وموقعهُ بين منطقة الزروع والصخور

الواقفة على طرف الجبل الغربي . والمقابر هناك تمتدُّ فوق آكام فحلة وتلال محجرة على طول عدَّة اميال . وبقرب القبور المنقورة في الجبل هياكل دفنيَّة اقامها الملوك الذين سبق وصف مدافنهم . منها هيكل الدير البحري دُعي بالدير لاقامة الرهبان قديماً فيه وعرف بالبحري لموقعهِ الى جهة الشمال وهذا الهيكل قد ابتنتهُ « ماعكاراغ » احدى ملكات السلالة الثامنة عشرة . وبقرب هذا الهيكل وُجدت جثث الملوك المحنَّطة في حفرة عميقة

وان سرتَ من الدير البحري الى الشرق ميمماً قرنه بلغتَ بعد بضع دقائق الى بطحاء تحدُّها شمالاً وغرباً صخور الجبل العالية . وهناك مدفن يرقى الى عهد صاء الحجر (époque saïte) والعرب يدعونهُ الاساسيف البحريَّة وهو الاسم الشائع ايضاً بين العلماء يميِّزونهُ عن مدفن آخر على شبهِ موقعهُ الى الجنوب يدعونهُ الاساسيف القبليَّة

وبين هذين المدفنين هيكل رعمسيس الثاني الشهير (Ramesseum) وهو الهيكل الذي وصفنا سابقاً مدخلهُ (راجع المشرق٧ : ٥٥٠—٥٥١) ورونا ما عليهِ من النقوش والكتابات بينها آثار مفيدة لتاريخ بلاد الشام كذكر محاربة الفرعون للحثيين وفتحهِ مدينة قادش حاضرتهم وعدَّة قلاع اخذها منهم في السنة الثامنة لملكهِ . وفي باحة الهيكل اكبر التماثيل المصريَّة وقد تحطَّم بعضهُ طولهُ ١٧ متراً ونصف وثقلهُ ١,٠٠٠,٠٠٠ كيلوغرام وهو يمثل الفرعون رعمسيس الثاني

وبازاء هيكل رعمسيس من جهة الجبل تلّ يُعرف باسم شيخ عبد القرنه حيث حُفرت مدافن كبار العمَّال في عهد السلالة الثامنة عشرة . وعددها نحو الستين بينها عشرة تحتوي على نقوش بديعة ورسوم زهيَّة متقنة الصنع تاريخيَّة الفحوى . واحسنها حالة على قدمها مدافن « ركاري » و « راع موسى » و « نخت » و « سن نوفير » و « انه »

وعلى مسافة عشر دقائق منها غرباً هيكل « دير المدينة » وهو دقيق الصناعة لم يصبهُ الزمن بكبير اذًى قد ابتناه البطالسة وسكنهُ مدَّةً رهبان القبط وفيه عدد وافر من الكتابات القبطيَّة . وتلّ « قرنه مُرَّي » الواقع جنوبي شرقي الهيكل هو اليوم مقام لفلَّاحي مصر اقاموا اكواخهم بين مدافن كثيرة ترتقي الى ايَّام السلالة الثامنة عشرة

وهناك معبر يجتاز بين دير المدينة والتلّ المذكور يبلغ السائر بعد ربع الساعة الى

وادي الملكات الذي يدعوه الاهالي « بيبان الحريم » او « بيبان الستّات » وهو على شبه دائرة تحدق به من جهاته الثلاث تلالٌ نُقرت في وسطها قبور الملكات والامراء الاحداث الذين ماتوا صغارًا . وفي وسطها الخربة منازل القمة الذين كانوا يشتغلون بتجهيز المدفن . وهذا المكان لم يقصده سابقًا الزوّار لكنهُ اضحى منذ السنة ١٩٠٤ محجًا يتوارد اليهِ السيّاح

ومن خرج من هذا المدفن مارًا بالطريق المفتوحة جنوبي شرقي الدائرة وصل بعد قليل الى هيكل « مدينة هبو » الشهير وليس في هياكل ثيبة هيكل يضاهيهِ في حسنهِ وبقائهِ على فساد الزمان . في مدخلهِ وجدرانهِ نقوش ناتئة كثيرة الفوائد لتاريخ ذاك العهد من جملتها صور شعوب مختلفة من ساميين وغيرهم حاربهم رعمسيس الثالث مشيّد هذا الاثر القديم . وعند الصور اسم كل امةٍ بمفردها . والصور غاية في الدقّة بحيث يمكن افراز كل جنسٍ بسحنة وجههِ وتقاطيع جبههِ وتُعرف فضلًا عن ذلك بزّة كل شعب وازياؤهُ الخاصّة . وبقرب الهيكل الكبير هيكل آخر لم يثبت مثلهُ على نكبات الزمان يلوح من بقاياه انهُ من بناء البطالسة

وعلى مسافة عشر دقائق من مدينة هبو تمثالان عاديّان للاله ممنون يراهما الناظر عن بُعد من كل جهة . وهما من سمات ضفّة النيل الغربيّة في ثيبة . وهذان التمثالان منحوتان في حجارة صابة مركّبة من الحصى الرمليّة والكوارتز نُقلت من الجبال التي تشرف على ادفو وهما يمثلان الفرعون امينوفيس الثالث جالسًا على عرش مكعّب الشكل . وكانا امام مدخل هيكل عظيم شادهُ هذا الملك فتلف بمجور الزمان ويلوح الشخصان عن بُعد كانهما قائمان منفردين . وفي عهد الرومان كان يحسبهما الكتبة تمثالين للاله ممنون المولود من الفجر ومن تيتون الذي قتلهُ اخيلس في حرب تروادة والتمثال الجنوبي مصون بتمامهِ وطولهُ ١٥ مترًا و ٩٥ سنتيمترًا . امّا التمثال الشمالي فكان يدعى بالتمثال المغنّي وقد روى الكتبة الرومان انهُ عند بزوغ الشمس كان يُسمع لهُ صوت رخيم وكانوا يدعون ذلك بسلام الاله ممنون على امهِ الفجر شكرًا لها على لطفها صباحًا . وشاع هذا الامر في عهد القيصر نيرون الى زمن سبتيميوس ساويرس ودُوّن على ساقي التمثال بابيات عديدة من الشعر . ثم اراد ساويرس الملك ان يرمّم هذا التمثال فقلبهُ ولم يَعد احد يسمع الصوت مطلقًا . ومن جملة هذا القريض ابيات يونانيّة هذا تعريبها : « اعلمي

يا تانيس القاطنة غور البحار ان ممنون لا يزال حيًا وانهُ اذا وقع عليهِ شعاع لمعِ النيّرة العظمى اسمع صوتًا رخيًا يتردّد صداه في جبال مصر الليبيّة حيث يقسم النيل مدينة ثيبة ذات المائة باب بينما يبقى اخيلس صامتًا هامدًا في سهول بلاد ثرواذه كما كان في ثسالية »

وهذا الامر الذي لا يمكن انكاره لكثرة شواهد الكتبة عليهِ ليس بمستبعد وعلماء الطبيعة لحظوه في غيره من الآثار الشبيهة بهِ وهم يرون انَّ بعض الصخور اذا كثر نداها وبرودتها ليلًا ثمَّ لسختها الشمس سريعًا سُمع لها صوت يعلّلونهُ بتمدُّد دقائقها واصطدامها

هذا نظر عمومي في ثيبة وامكنتها المجاورة لها. ومن عاين الخارطة التي اضفناها الى هذه النبذة امكنهُ ان يدرك ما قلناه بسهولة. وفي عدد آخر نفصل ما اكتشفهُ الاثريون في هذه السنين الاخيرة من الآثار الجليلة (لهُ بقيّة)

الابرشيات المارونيّة وسلسلة اساقفتها

بقلم جناب الاديب الشيخ سليم خطار الدحداح (تابع)

٥ ابرشية صور وصيداء

وُجد قبل المجمع اللبناني اساقفة مارونيّون اقيموا على ابرشيّة صور او صيداء كالبطريرك يوسف العاقوري الذي كان اسقف صيداء قبل اختياره للبطركيّة سنة ١٦٣٥ لكنَّ هذين اللقبين لم يجتمعا الّا منذ عهد المجمع المذكور. ولمَّا كان قد اضطرّ البطريرك سمعان عوّاد (الذي قام بعد عقد هذا المجمع اي منذ سنة ١٧٤٢ الى ١٧٥٦) ان يغادر قنوبين ويجعل مركزه في دير مشموشه فقد تعيّنت ابرشيّة صور وصيداء متخصّصة بالسيد البطريرك وعليهِ لم يقم حينئذٍ احد من الاساقفة بلقب هذه الابرشية. ولمَّا عاد البطاركة بعد موت سمعان عواد الى كرسيهم في جبّة بشرّاي استبقوا لهم هذه الابرشية مع بعدها الشاسع عن مقرّهم وكانوا يناطون شؤونها بوكلاء يجعلونهم عليها. وبناء على طلب غبطة البطريرك يوسف حبيش قرّر المجمع المقدّس تخصيص ابرشيّة جبيل والبترون وملحقاتها بالسيد البطريرك وجعل صور وصيداء ابرشية